الصباح الإسلامية
09
إعداد : ياسر السيد
العدد 2361 - السنة الثامنة
الإثنين غرة ربيع الآخر 1437 - الموافق 11 يناير 2016
Monday 11 January 2016 - No.2361 - 8th Year

لابد للمسلم من انتقاء العبارات وتحسين الكلمات عند حديثه

سر سعادة المرء في .. لسانه

عجيبة تلك العضلة الصغيرة في جسم الإنسان، فعلى الرغم من صغر حجمها فإنها تصنع أعمالا عظيمة، فقد تمزق وتفرق وقد تجمع وتقرب، وقد تكون سببًا لسعادة الإنسان في حياته، وقد تكون أيضا سببًا في شقائه، وقد تكون سببًا لزيادة الحسنات ورفعة الدرجات، وقد تكون سببًا لكسب السيئات ومحق الحسنات! بل قد تهوي به في دركات النار!

إنها.. اللسان! نعم اللسان! فحين يحسن الإنسان حديثه مع الآخرين وينتقي عباراته، ولا يتحدث إلا بأطيب القول وبما ينفع، وفيما يعنيه، ويذكر الله به جل وعلا، كان ذلك سببًا لسعادته وفلاحه؛ لأنه حفظ لسانه عن الوقوع في أعراض الناس وعن الغيبة والنميمة التي تعد من كبائر الذنوب، التي نهانا الله عن فعلها؛ بل وصوّر من يفعل ذلك بأبشع تصوير دلالة على شناعة الفعل وعلى قبحه فقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12].والغيبة كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»[1]. ولو كان فيه، أما النميمة فهي: نقل الكلام من شخص لآخر بقصد الإفساد

وهاتان الصفتان الذميمتان من أكبر ما يفرق بين المجتمعات ويمزق وحدتها، وتملأ القلوب غمطًا وحنقًا، وتسبب الحقد والضغينة والكراهية؛ لذلك نهانا الله عنها، وعلى النقيض أمرنا بالنطق بأطيب القول وأحسنه في الدعوة إلى التوحيد وفي شتى المجالات؛ لأنه أدعى للقبول وأحرى للإجابة، وأقرب مثال لذلك أنه -سبحانه- حينما أرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون ذلك الطاغية الكافر المتكبر ليدعواه إلى دين الله، أمرهما بأن يدعواه بالقول اللين فقال تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي × اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى × فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 42-44].وتفسير الآية كما ذكره الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان):

﴿قَوْلًا لَيِّنًا﴾: أي سهلاً لطيفًا برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف ولا غلظة في المقال أو فظاظة في الأفعال. ﴿لَعَلَّهُ﴾ بسبب القول اللين ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ ما ينفعه فيأتيه ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه[2].

وإذا كان هذا التصرف، وهذا التعامل مع الكافر وهو كافر، فمن البديهي أن يكون التعامل الجيد والحسن مع المسلمين أولى وأحرى؛ لذا ينبغي على الإنسان المسلم أن يتحلى بالأخلاق الحميدة الموجودة في عقيدة الإسلام، التي علمنا إياها النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- وأن يراقب لسانه ويتحرى الصدق فيما يقول، ويحاسب نفسه على كل كلمة ينطق بها؛ هل تكون له في ميزان حسناته؟ أم تكون عليه وتكون في ميزان سيئاته؟

ومن واقع التجربة -حتى يحظى الإنسان بالقبول والمحبة من جميع من هم حوله ويشعر بالسعادة- أذكر هذه النقاط التي أرجو أن تكون نافعة إن شاء الله:

- أن يكون الإنسان بشوشًا مبتسمًا؛ فالابتسامة في وجه أخيك صدقة وتفتح لك القلوب.

× أن يتحلى بأدب المجلس؛ من إلقاء التحية، الإفساح في المجلس، احترام الكبير، ألا يتصدر المجلس بالحديث ويدع المجال للآخرين ليتحدثوا.

- سؤال الآخرين عن أحوالهم، والاحتفاء بهم، وتقديم المساعدة لهم إن احتاجوا لذلك.

× تحري الصدق في كل ما يقول وينطق وفي الحديث: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا»[3].

× عدم التدخل فيما لا يعنيه من شئون الآخرين وفي الحديث: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[4].

- تأسيس الرقابة الذاتية، واستشعار أن الله مطلع على الإنسان ومحيط بكل ما يقول وينطق، ويتذكر دائمًا أن عن يمينه وشماله ملكين يسجلان ويكتبان كل ما يقول، واستحضار ذلك دائمًا يدفع الإنسان إلى فعل الخير وإلى ما يرضي الله عنه، ويدعوه إلى ترك المعاصي وعن كل ما يغضب الله.

- التقرب إلى الله، كلما تقرب العبد لربه بالطاعات والأعمال الصالحات نال رضا الله ومحبته، وجعل الله له القبول في الأرض، وألقى محبته في قلوب الخلق.

- حسن الظن بالآخرين وألا ينشغل إلا بنفسه؛ لأن المرء حينما يشغل نفسه بمراقبة الآخرين وانتقادهم يغفل عن نفسه وعيوبه، وقبل أن ينتقد الإنسان الآخرين لا بد أن يرى عيوبه ويسعى لإصلاحها، وحتى لو واجه النقد فليتقبله بكل رحابة صدر، اعلم أن تقبل النقد قد يكون صعبًا بعض الشيء؛ خصوصًا حينما يكون نقدًا لاذعًا خاليًا من الأسلوب الجيد؛ لكن العاقل من يستمع إليه مهما كان الأسلوب الذي جاء به، ويسعى للإصلاح والتقويم.

كما قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي»[5]. لأن المحب الحقيقي الناصح هو الذي يوجهك وينبهك عند وقوعك في الخطأ ويؤيدك على الصواب والفعل الحسن، وجميل أن نجعل نقد الآخرين بمنزلة الموج الذي يدفعنا إلى الأمام، وأن نرتقي بأنفسنا وأخلاقنا وذواتنا إلى معالي الأمور.

- أن نتذكر أن سعادة المرء وتعاسته في لسانه؛ فإن استطاع التحكم في لسانه فإنه يستطيع التحكم في سعادته وفي الحديث: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[6]. فكلما كانت كلماتك لطيفة ومهذبة ومؤدبة كسبت بذلك ود من حولك وحبهم واحترامهم، وازدادوا شوقا إلى حديثك وسماع كلامك، وكلما كان اللسان طويلا غير مهذب بذيئا كسبت نفور من حولك، وفقدت احترامهم لك، وكرهوك وكرهوا مجالستك تفاديًا لسماع حديثك وكلامك.

- الدعاء: الدعاء شأنه عجيب! وقد سمعنا في ذلك قصصًا كثيرة، فلا يغفل الإنسان عن الدعاء بأن يطهر الله لسانه من الكلام الفاحش البذيء، ومن الغيبة والنميمة، وأن يطهر قلبه من الحقد والحسد والنفاق.

- ذكر الله: ترطيب اللسان وتطييبه بذكر الله وتعويده عليه، ولا أسهل من ذكر الله! ولا أعظم أجرًا منه! وحينما يعتاد الإنسان الكلام الطيب يتعطف لسانه ويشرع فيما بعد عن النطق بغيره.هذا ما جاد به قلمي، وفاضت به قريحتي، أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما كتبت فانتفعت ونفعت، وأدعو ربي أن يهدينا لأحسن الأقوال والأعمال لا يهدي لأحسنها سواه.

أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة

الإحسان إلى الوالدين

لقد أمر الإسلام ببر الوالدين وجعل برهما أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام بعد الشهادتين، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سألت النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين).

بل قرن الله تعالى الإحسان إلى الوالدين بعبادته وتوحيده، وكما أمر الإسلام ببر الوالدين وقرنه بعبادة الله فقد حرم عقوق الوالدين وجعله من أكبر الكبائر وقرنه بالإشراك بالله، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟.... الإشراك بالله، وعقوق الوالدين.... (

ولمن أراد الفلاح والسداد في الدنيا والآخرة ونيل أعلى الدرجات في الجنان - بإذن الله - فعليه بعد طاعة الله والامتثال لأوامره والوقوف عند حدوده ونواهيه، البر بالوالدين والإحسان إليهما، ولعل ما سأذكره من النقاط يكون سببا في تحصيل ذلك إن شاء الله.

× الاستماع إلى توجيهاتهم ونصائحهم وطلب استشارتهم والأخذ برأيهم ولو لم يعجبك الرأي ولم تأخذ بالنصيحة، فأظهر أنك تحب استشارتهم وأنك لا تستغني عن آرائهم؛ لأن هذا من البر بهم.

× إظهار عدم الاستغناء عن حاجتهم ولو كبرنا وكبروا؛ لأن هذا يقوي علاقتنا بهم ويزيد من محبتهم لنا بل هذا يولد شعورا جميلا بأنه مهما كبروا وضعفوا عن القيام بأنفسهم فلن نستغني عنهم، إننا لا نزال نحبهم ونريدهم.

× تلمس حاجاتهم ومعرفة رغباتهم الداخلية وما يتمنون وتلبيتها بكل فرح وسرور من غير أن يتلفظوا بها وينطقوا، وهذا من البر الحقيقي الذي لا يستطيعه كل أحد.

× الصبر على تغير النفسية وتغير الطباع في حال الكبر؛ لأن الشخص حينما يكبر في السن ويرق حاله ويعجز عن القيام بنفسه، تكثر طلباته ويكثر انتقاده ويريد أن يؤتى بكل شيء بسرعة، لذا يجب البر بهما والصبر عليهما والإحسان لهما ومراعاة تلك النفسية ومداراتها.

× تقديم الهدايا التي تبهج الخاطر وتدخل على القلب الأنس والسرور، ومن المستحسن جلب ما يحبون وما يرغبون فمن كان والداه يحبان العطور فجميل لو كانت الهدية علبة عطر مميز، وليس شرطا أن يكون هناك مناسبة لأجل الهدية؛ بل قد تكون بدون مناسبة لها وقع أكبر.

× التلطف والأدب والاحترام حين التحدث معهما واختيار أجمل والطف العبارات.

× عدم التضجر والغضب والتلفظ بكلمة (أف) عندما يطلبان أمرا أو حتى عندما يكثران عليكم الطلب.

× الدعاء لهما في الصلاة وفي أوقات الإجابة بأن يطيل الله عمرهما على الطاعة وأن يحسن لهما الختام.

× سؤال الله دائما الإعانة والتوفيق إلى برهما ونيل رضاهما.

× احترامهما وعدم رفع الصوت عليهما بل مناداتهما بأحب الأسماء إليهما.

× الإحسان والبر بأصدقاء الوالدين وصلة أقاربهما في حياتهما وبعد مماتهما؛ لأن هذا من البر بهما.

× ترك الأشياء المحببة للنفس المزعجة للوالدين، والنزول عند رغبتهم ولو كانت مخالفة لما تحب النفس وتهواه.

× سرعة الإجابة لأوامرهم وتلبية طلباتهم ورغباتهم، وعدم تقديم طلباتنا ورغباتنا على طلبات ورغبات الوالدين.

× إخبارهم بمستجدات حياتنا اليومية البسيطة إن كان هناك مجال وفسحة؛ لأن هذا يشعرهم باهتمامنا بهم وقربهم منا.

× عدم تفضيل وتقديم أحد عليهم في الإحسان والرعاية والاهتمام سواء كانت زوجة أو أبناء أو أقرباء؛ لأن الوالدين أعظم حقا وليس ثمة أحد أعلى منهم منزلة وأحق بالعناية.

- البر الحقيقي حينما يكون الإحسان والسمع والطاعة للوالدين في حال اختلاف رغباتنا وميولنا وطريقة تفكيرنا عنهم، وفي حال عدم حاجتهم لنا؛ لأن برنا بهم وهم محتاجون لنا ليس برا وإنما واجب علينا ورد للجميل الذي قاموا به ونحن صغار، وكان العلاقة بيننا وبين والدينا سلف ودين؛ لأننا سنلقى كل ما نعمله لهم في أبنائنا سواء كان برا أو عقوقا.

- بعض الآيات والأحاديث في الإحسان للوالدين:

× قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا × وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (سورة الإسراء آية 23 – 24).

× قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) (سورة الأحقاف آية 15).

× قال -صلى الله عليه وسلم-:) رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة (.

× قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:) إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات (.

واستحضار تلك الآيات والأحاديث واستشعار عظمة حق الوالدين وعظم الجزاء المترتب على البر والإحسان لهما يدفع إلى المسارعة بالبر والطاعة والإحسان لهما.

وعلى من يريد النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة وكسب الأجر العظيم من الله أن يشفق عليهما ويتذلل لهما وأن يترحم عليهما ويدعو لهما بما يفتح الله عليه، وليتذكر الإنسان شفقة أبويه وتعبهما في تربيته؛ ليزيده ذلك إشفاقا لهما وحنانا عليهما، قال حكيم -رحمه الله-: راع أباك يرعاك ابنك.

والحقيقة أن مهما عملنا ومهما قدمنا فلن نصل إلى غاية البر والإحسان لهما؛ لأن حقهما أعظم وأكبر مما نتصور، ويكفي في ذلك أن الله قرن عبادته بطاعتهما والإحسان لهما فقال سبحانه: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (سورة النساء آية 36)، ومع هذا نحسن ونجتهد ونحتسب الأجر والثواب من الله على قدر الاجتهاد.

مساجد الإسلام .. في كل مكان

جامع السلطان حسن بمصر

يمثل مسجد السلطان حسن في حي القلعة بمصر، هرم الآثار الإسلامية، الذي تفتخر به العمارة الإسلامية، حيث وصفه الرحالة المغربي «الورتلاني» بـ «إنه مسجد لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من البلاد في فخامة البناء ونباهته».

أطلق على القاهرة منذ مئات السنين مدينة الألف مئذنة، في إشارة إلى انتشار المساجد، التي تنافس الملوك والأمراء، الذين مروا على صفحات تاريخ المدينة العريقة في إنشائها، وتصعد من بينها مئذنة مسجد «السلطان حسن» كأطول المآذن في مصر لتقطع 81 مترا نحو السماء، فوق المسجد، الذي ترتفع حوائطه 38 متر، والذي وصفه جاستون فييت المدير الأسبق للمتحف الإسلامي بالقاهرة، بـ «أنه أبدع آثار القاهرة، وأكثرها تجانسا وتماسكا وكمال وحدة وأجدرها بأن يقف بجانب تلك الآثار المدهشة التي تركها الفراعنة». وقال عنه الكاتب الأمريكي ول ديورانت في موسوعة «قصة الحضارة»: تروي أسطورة غير مؤكدة كيف أن السلطان حسن جمع مشاهير المهندسين من بلاد كثيرة، وطلب إليهم أن يذكروا له أعلى صرح على البسيطة، وأمرهم بأن يشيدوا أعلى منه، مشيرا إلى بدعة بدعة صنعته ودقة زخارفه.

يمثل مسجد السلطان حسن، أحد أهم الآثار الإسلامية التي لا يخلوا برنامج سياحي من زيارته، ويتوافد عليه السائحون والوافدون وكبار الزوار، والذي كان أشهرهم في الفترة الأخيرة بارك أوباما الرئيس الأميركي وقرينته ووزيرة خارجيته هيلاري كلينتون، وذلك لما يمثله المسجد من تحفة معمارية فريدة، وقد أنشئ أسفل قلعة صلاح الدين التي تطل على القاهرة، وارتفع بناؤه لبنائه، على يد السلطان المملوكي حسن بن الناصر قلاون، الذي اغتيل بعد البدء في بناء المسجد بثلاث سنوات وأكمله من بعده تلميذه الأمير بشير الجمدار، لينتهي بعد 4 سنوات أخرى، ويقال انه تكلف 750 الف دينار من الذهب في وقته.

ويتكون جامع السلطان حسن من مسجد ومدرسة خاصة بكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة، الشافعي، والحنفي، والمالكي، والحنبلي، تقع حول صحن الجامع،وتجمعت فيه شتى الفنون والصناعات، كما يؤكد الدكتور الدكتور عطية القوصي، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة، ويضيف أنه أضخم المساجد المملوكية، بسبب جمعه بين ضخامة البناء وجمال الهندسة، وتنوع زخارفه كدقة الحفر في الحجر، ممثلة في زخارف المدخل والباب النحاسي للمسجد، والثريات النحاسية والمشكاوات الزجاجية التي تزين سقف المسجد، والشغل في الخشب الذي تميز به العهد المملوكي.

أول ما يلاحظه زائر المسجد، هو ارتفاعه الشاهق، حيث بني من كتل حجرية ضخمة، ليكون رمزا لفن العمارة في عصر المماليك، وتبلغ مساحته 7906 متر، وطوله 150، وعرضه 67، وارتفاعه 39، وبالنسبة لباب المسجد فهو يمثل اية في بدعة الصنعة، وهو مكسوة بالنحاس المشغول بأشكال مفرغة بزخارف دقيقة، ومثله باب المنبر، وعلى أحد مدخلي القبة، يوجد باب مصفح بالنحاس، حشواته بالذهب والفضة على أشكال وهيئات زخرفية، تمثل أحد روائع الفن الإسلامي، ويظهر بمدخل المسجد، دقة الحفر في الحجر، بالزخارف المنقوشة عليه، وهو مربع الشكل تقريبا يبلغ طوله34.60 مترا، وهو مفروش برخام ابيض مرمري، وتتوسطه فسقية للوضوء تعلوها قبة خشبية على ثمانية أعمدة.

ويتبع المدخل سلم مكون من خمس درجات، يتبعه دهليز ينثني على شكل زاوية إلى اليسار، لينتهي إلى صحن المدرسة المفروش بالرخام المتعدد الألوان، وتبلغ مساحتها 32 في 34 متر، وتعد تحفة فريدة، فهي ساحة مرصوفة من أحجار الفسيفساء المرتبة بشكل منظم للغاية، ويطل عليها اربعة إيوانات -الإيوان مكان له ثلاث حوائط وسقف ومفتوح من الجهة الرابعة- تؤدي كل واحدة منهم إلى مدرسة فقهية.

ويبلغ ارتفاع قبة المسجد 48 مترا، وقطرها 42 مترا، ويرجع تاريخ إنشائها إلى القرن السابع عشر حيث حلت محل القبة القديمة، التي فقدت بسبب نزاع عسكري نشب بين فرق الجند العثماني، ما أحدث تراشق مدفعي بين قلعة الجبل والمماليك المتحصنين بمدرسة السلطان حسن، حيث كان يستخدم أمراء المماليك المتمردون المسجد في رمي القلعة مقر الحاكم بالمجانيق نظرا لارتفاعها. وبأركان القبة الجديدة أشكال ضخمة من الخشب نقش أحدهما ليمثل ما كانت عليه باقي الأركان، وتكسو جدران القبة بارتفاع ثمانية أمتار وزرة رخامية يعلوها طراز خشبي كبير مكتوب في نهايته تاريخ الفراغ من بناء القبة القديمة سنة 764 هجرية، ونقشت على دائرة القبة من الداخل آيات من القرآن الكريم، وهناك قبة أخرى بالمسجد ترتفع 8 أمتار مكسوة جدرانها بالرخام الملون، تسكن تحتها مقبرة السلطان حسن ، ولكنه لم يدفن بداخلها، لأنه حين قتل لم يعثر على جثته، وكان مخطط للمسجد أن يضم أربع مآذن، شيد ثلاث منها، ولم يبق منهم سوى مئذنتان قائمتان إلى اليوم، بعد أن سقطت خلال سنوات البناء، فقرر السلطان المملوكي الاكتفاء بالمئذنتان بسبب تشؤمه من موت بعض المارة من المئذنة التي سقطت، ومن الأسرار الغريبة في هذا المسجد أنه لم يستدل على المهندس الذي أشرف على تصميمه وتنفيذه.